الفصل الخامس

في أن الجنة والنار مخلوقتان الآن

قال: أُعِدَّتِ الْجَنَّةُ اسْتَدْعَى تَكَوُّنَهَا ... وَنَقْلُ آدَمَ مِنْهَا بَعْدَ إِسْكَانِ

أقول : ذهب أهل السنة وأبو علي الجبائي وأبو الحسين البصري وبشر ابن المعتمر من المعتزلة إلى أن الجنة والنار مخلوقتان الآن[1] . وخالفهم أكثر المعتزلة ؛ وقالوا إنما تخلقان يوم العرض والجزاء . لنا وجهان الأول : ما أشار إليه المصنف بقوله «أعدت الجنة» إلى آخره ، يعني أن الله تعالى قد عبر عنهما في مواضع من كتابه بصيغة الماضي[2] الدالة على تكونها كقوله تعالى في حق الجنة ﴿ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ (آل عمران:١٣٣) ﴿ وَأُزْلِفَتِ ٱلْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ (الشعراء:٩٠) وفي حق النار ﴿ أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ ﴾ (البقرة:٢٤) [3] ﴿ وَبُرِّزَتِ ٱلْجَحِيمُ لِلْغَاوِينَ ﴾ (الشعراء:٩١) ، وحملها على التعبير عما يقع في المستقبل بلفظ الماضي تنبيها على تحقُّق وقوعه مجاز ، فلا يصار إليه إلا عند الضرورة ولا ضرورة هنا[4] .[5]

وعورض بقوله تعالى ﴿ تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا ۚ وَٱلْعَٰقِبَةُ[6] لِلْمُتَّقِينَ ﴾ (القصص:٨٣)[7] وأجيب بأنه يحتمل الحال ، ولو سلم فالمعنى نجلعها بعد هلاكه لحظة ذاتا أو صورة للذين لا يريدون في الأرض الطغيان والفساد بل يطلبون مرضاة ربهم الأعلى . وبهذا اندفع أيضا ما قاله أبو هاشم من أنهما

---

(١) لمزيد من الدراسة انظر أصول الدين للبغدادي : ٢٣٧، ٢٣٨، شرح المواقف للشريف الجرجاني: ٣٢٨/٨-٣٣٠ ، شرح المقاصد للتفتازاني : ٣٥٧/٣-٣٦١ .

(٢) أ: بدون (الماضي) .

(٣) سورة البقرة : ٢٤ ، سورة آل عمران : ١٣١ .

(٤) ز: ههنا .

(٥) أول ق ٧٦ في ز .

(٦) أول ق ٧٦ في ز .

(٧) سورة القصص: ٨٣ . وليس في أ «والعاقبة للمتقين» .

لو كانتا مخلوقتين يوجب هلاكهما تحقيقا لمعنى قوله ﴿ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ ﴾ (القصص:٨٨) لكنه باطل بقوله تعالى ﴿ أُكُلُهَا دَآئِمٌ ﴾ (الرعد:٣٥) [١] وذلك لأن المراد بدوام الأكل[٢] أنه إذا فنى منه شيء جيء ببدله لا أنه يبقى بعينه وذلك لاينافي الهلاك لحظة.

والثاني : نقل آدم وحواء منها بعد إسكانهما ، ولما لم يتحقق هنا[٣] القائل بالفصل كانت ثبوت الجنة ثبوتا للنار . وقد أوله المخالف بأنهما إنما نُقلا عن بستان من بساتين الدنيا ؛ يكون في أرض فلسطين ، قال صاحب المقاصد[٤] هذا منهم يجري مجرى التلاعب بالدين و[٥] المراغمة لإجماع المسلمين .

واحتج البعض من المخالفين بأنهما لو وجدتا فإما في عالم الأفلاك أو العناصر أو في عالم آخر والكل باطل . أما الأول فلأن الأفلاك لا يقبل الخرق والالتيام فلا يقع فيها شيء من العنصريات . وأما الثاني فلاستلزامه التناسخ وأنتم لا تقولون به[٦] مع بطلانه في ذاته بدليله . وأما الثالث فلاستلزامه الخلاء بين العالمين لكون شكلهما كرتين ليتحد[٧] بهما الجهات المختلفة فيهما . فإن قلت هذا الدليل لا يليق بالقائلين بوجود الجنة والنار يوم العرض والجزاء لأنه على تقدير تمامه يبقى وجودهما مطلقا . قلت ممنوع بل يمكن ذلك بإفناء هذا العالم بالكلية وإيجاد عالم آخر فيه الجنة والنار وغيرهما من الإنسان وسائر العنصريات من غير لزوم خرق والتيام وغيرهما[٨] من المحالات ، كذا ذكره شارح المقاصد[٩] . وأنت خبير بأنه قد أجاب عن هذه الشبهة أولا بأنها مبنية على أصول فلسفية[١٠] غير مسلمة عندنا كاستحالة الخلاء وامتناع الخرق والالتيام ونفي القادر المختار الذي بقدرته وإرادته تحديد[١١] الجهات فكيف يتصور حينئذ إفناء هذا العالم بالكلية وإيجاد عالم آخر يدخل فيه الجنة والنار وغيرهما من العنصريات .

---

(١) سورة الرعد: ٣٥ ، أول ق ٦٤ في أ .
(٢) ز: بدون (الأكل) .
(٣) ز: ههنا .
(٤) انظر شرح المقاصد: ٣/٣٦٠ .
(٥) أ: بدون واو العطف .
(٦) أ : بدون (به) .
(٧) أ: لتحدو .
(٨) ز: زيادة (من الإنسان) .
(٩) انظر شرح المقاصد: ٣/٣٦٠ .
(١٠) أ: فلسفة ، ز: فلاسفية .
(١١) أ: تجديد ، ز: تجريد .